خطبة فتح بيت المقدس

**الخطيب: يحيى سليمان العقيلي**

معاشر المؤمنين

تقف اليوم مع القدس والمسجد الأقصى لنستذكر

لحظة تاريخية جليلة، تلك التي تسلم حينها أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مفاتيح بيت المقدس ، وقف التاريخ إجلالا لما حمله المشهد من مواقف عظيمة، تجلّت فيها عظمة هذا الدين ، وسمو ذلك الجيل القرآني الفريد ، لنجدّد التذكير واليقين بأن القدس لن تتحرر إلا بالسير على خطاه

إنطلقت جيوش المسلمين عباد الله ترفع راية الجهاد ممتثلة قول الحق جلّ وعلا "وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78الحج)

انطلقت جيوش المسلمين تدك عروش الفرس والروم ، ولم يبقى غير القدس هدفاً، فبادر نصارى القدس وأرسلوا للخليفة العادل، يطلبون منه المجيء لديارهم، ويسلموه مفاتيحها دون إراقة دماء ، وذلك في العام السادس عشر للهجرة .

ومشى إليها عمر بعد أن شاور الصحابة رضي الله عنهم ، مشى للقدس بناقة وخادم معه، وزاد من الماء والخبز والتمر.

وكان رضي الله عنه يركب ناقته ساعة، ويمشي خادمه، ثم ينزل ليركب خادمه ويمشي هو، ثم يمشي الاثنان ليريحا الناقة،  حتى وصلا قريباً من الجيش المحاصر للقدس بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح، فإعترضته مخاضة ماء وطين، وكان ساعتها الخادم راكباً، وعمر ماشياً بيده مِقودُ الناقة،

وأرادالخادم أن ينزل ليركب أمير المؤمنين إلا أن الخليفة العادل أبى ، وبعظمة العدل والرحمة والتواضع، خلع أميُر المؤمنين نعليه، قائد جيوش الفتوحات الإسلامية وهازم الروم والفرس، يخلع نعليه ويضعهما على عاتقه، ويشمّر عن ثيابه ويخوض في الوحل، حتى إجتاز ه الى جهة جيش المسلمين ،

وقادة الجيش وجنوده يرقبون هذا المشهد العظيم ، هب قائدهم أبو عبيدة مع قواده الأربعة ليستقبلوا أمير المؤمنين استقبالا يليق بمقام خليفة المسلمين، فلما إقترب عمر منهم قال له أبو عبيدة :" يا أمير المؤمنين لو أمرت بركوب، فإنهم ينظرون إلينا".

عندها غضب عمر غضبته التاريخيةَ الشهيرة، وصاح بمقولته التي لازالت تصدح في آذان الدهر :" والله لو غيرك قالها يا أبا عبيدة لجعلته عبرة لآل محمد صلى الله عليه وسلم!!! لقد كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا عزاً بغير الإسلام أذلنا الله".

ألا ما أعظمه من درس تاريخي بليغ لايزال صداه يتردد عبر القرون ، ويصدحُ في آذان المسلمين قاطبة وشعبِ فلسطين اليوم، تدّلهم على طريق النصر ومنهجه ، إنه الاسلام والاسلام فقط لاسبيل غيره ولاطريق سواه ، مصداقا لقوله تعالى " ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقويٌ عزيز "

معاشر المؤمنين

ويصل الركبُ الفاتح، المثلُ الأعلى للحضارة، والقيمِ الرفيعةِ العظيمة والنبلِ السامية إلى باب دمشق، أحدِ أبواب أسوار القدس، والخليفةُ يمشي يقود الناقة، وخادمه راكب، وحشودُ الروم ترقُب هذا المشهدَ العجيب ، أغربَ مشهدٍ تاريخيٍ حضاري لا يحلمون برؤيته، حتى قام رسّام تواجد ساعتها هناك فرسم لوحة تاريخية لهذا المشهد حفظته مصادُرهم التاريخية .

حتى إذا استقر الركب عند الباب،و رآه النصارى بهيئته أكبروه وسجدوا له، فقال: "لا تسجدوا للبشر واسجدوا لله". فتعجب القسيسون والرهبان من ذلك وقالوا: "ما رأينا أحدًا قط أشبه في وصف الحواريين من هذا الرجل"، نزل إليه رئيس الأساقفة " صفر يانوس"، البطريرك، وبيده مفاتيح القدس، ورحّب بأمير المؤمنين ، ثم قال له: إن صفات من يتسلم مفاتيح (بيت المقدس) مكتوبة في كتابنا ،

أنه يأتي ماشياً وخادمه راكب.

ويأتي ورجلاه ممرغتان في الوحل.

وأنه يأتي بثياب مرقعة

نعم عباد الله تلك هي أوسمةُ ونياشينُ عمر رضي الله عنه ، التي تجّمل بها لهذا الفتح المبين ، وحينها وبعد تأكدِ البطريرك من ثبوتِ العلامات الثلاث سلّم أميرَ المؤمنين مفاتيح القدس، وبكى وهو يقول : "إن دولتكم باقية على الدهر، فدولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة".

ثم وقّع عمر رضي الله عنه مع أهلها النصارى" الوثيقةَ العمرية" عهد آمان مما جاء فيها :

" بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم. ولكنائسهم .... وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم. ولا ينتقص منها ولا من حيزها. ولا من صلبهم، ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم،\*

كما اشترط أهل إيلياء النصارى على خليفة المسلمين عمر رضي الله عنه أن لا يسمح ليهودي أن يسكنها معهم كما جاء في نص الوثيقة \*" ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود". فوافق على ذلك، وأمر عمر بإخراجهم منها.

وشهد على الوثيقة: خالد بن الوليد ،عمرو بن العاص. وعبد الرحمن بن عوف، معاوية بن أبي سفيان،

ثم دخل الفاروق بيت المقدس، ودخل كنيسة القيامة، حتى إذا حان وقت الصلاة، وهو في كنيسة القيامة، خرج وصلّى على مسافة منها، حيث أشيد مكان صلاته مسجدٌ سمّي بالمسجد العمري .

نسأل الله تعالى أن يطّهر بيت المقدس من رجس الصهاينة وأن يثبت أقدام المرابطين ويربط على قلوب المجاهدين هناك ليقر أعين المؤمنين بفتحه ونصره ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم

معاشر المؤمنين

أما إحتفالُ النصر عباد الله فقد كان احتفالا تاريخيا، لقد أمضى المسلمون الليل ركعا سجدا لله تعالى حمدا وشكرا له جلّ وعلا ، يجددّون سيرة حبيبهم صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فاتحا كان مطئطئا رأسه تواضعا لله تعالى حتى كاد رأسه يلامس عنق ناقته خشوعا وتذللا لله تعالى ، وكما وصفهم ربّهم

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29الفتح)